# الثعلب الفضي

## للقصصية الألمانية فيكي باوم

بقلم الأديب احمد فتحي مرسي

ولدت فيكي باوم في فينا في ٢٤ إبريل سنة ١٨٨٨ وكانت في مبدأ حياتها تعزف على العود Harp في أحد مسارح فينا . . . وكان للموسيقى ولصلتها الوثيقة بالمسرح أثر بين في حياتها القصصية حتى ليرى متقصص أثرها الأدبي أن معظم أعمالها الأدبية التي سبقت قصتها «الفندق الكبير» تصف الحياة المسرحية وصفاً دقيقاً رائعاً . . . وقد بلغت أوج مجدها الأدبي بعد قصة « الفندق الكبير » . وهي تعد الآن من أكبر كاتبات القصة في العصر الحديث « فتحي »

ربما كان في طوق « مابيل » أن تحصل على الثعلب الفضي لو تسلّفت النظر قليلا إلى الأمام قبل أن ينبت لها ضرس العقل الذي بذلت في سبيله كل ما في يدها . . .

وكان الثعلب الفضي معروضاً في واجهة أحد محال الفراء في شارع واردر ، وكان من عادة مابيل أن تتلبّث أمامه برهة من كل صباح ، تسرّح البصر في أطرافه وأعطافه ، وقلبها مجلان الخفق ، عميق الوجيب ، ملء شغافه أمل التحلي بذلك الفراء الجميل . . . وكانت تدعوه في أحلامها «ثعلبي الفضي»

وفي كل صباح من أصباح العمل في الساعة التاسعة والدقيقة الثالثة تلقى مابيل على ثعلبها نظرة التوّدد والوداع ثم تنطلق في سبيلها إلى محل عملها في شركة « بارسون — مانتون » حتى تصل إليه قبل وصول « السيدة بلاكني » مساعدة المدير . . . وتهرول مابيل في طريقها حتى تصل إليه أخيراً واهية لهثى وقد أعياها السير ، وجهدتها العجلة . . ولكنها تجد نفسها — على الرغم من ذلك — وصلت مستأنية متأخرة عن موعد وصول السيدة بلاكني التي تسارقها النظر الشزر خلال ساعات العمل . . .

ومابيل — إلى جانب ما تقدم — غادة في ربيعها العشرين جميلة القسمات . . . ولكن هذا لا يكفي . . . فهناك جموع زاخرة من الفتيات قد تحشّدن في الطرق وكلهن جميلات رائعات . . . فما الذي مازها منهن ؟ . . نعم ! لقد مازها منهن لون عينيها وشعرها . . .

فإنك إذا ما نظرت إليها الطرف راقك منها التقاء شعرها الجثل وعينيها الصافيتين عند لون واحد هو اللون البني الضارب إلى الذهب

هذا عن مابيل . . .

أما عن ثعلبها الفضي ... فقد كان لين الحاشية كمخمل الديباج ، ناصع اللون كروائع الشيب ، وله من الفضة وهجتها والتماعها ، وكان عندما رأته مابيل للمرة الأولى — متوسطاً للواجهة وقد نقش عليه ثمنه « أربعون جنيهاً » ثم عصفت به عواصف السوق فانتبذت به أحد أركان الواجهة وقد نقش عليه « ثلاثة وثلاثون » جنيهاً

وظل الثعلب مرقوماً بذلك الثمن ثلاثة شهور دون أن يتقدم أحد لاشترائه . . . ثم تخفض فجأة إلى « ثلاثين جنيهاً » ثم أقبلت طلائع الصيف فهبط إلى عشرين . . . وأصبحت فرصة ثمينة لمن يبتزها .

ورأته مابيل فكأنما تنزل عليها الفراء من السماء . . . إن عشرين جنيهاً مبلغ ليس بالهين ولكنه أيضاً ليس ممتنعاً عليها كل الامتناع . . . ومضت تقاول نفسها وقد استبد بها جنون الحصول عليه ، وخيل لها أن كل ماحواليها من النساء حاليات العطف بالفراء وهي وحدها العاطلة

فها هنا قرينات أصحاب الشركة الثلاث تتهادى على أعطافهن الثعالب الفضية وتوشي حلل الخريف المنضرة ... وها هنا زائرات الشركة تنوس على أكتافهن ذيول الثعالب وتلتفي في هينة ورفق ... وها هنا ثلاث عاملات من زميلاتها يتخطرن في تدلل وقد تزين بالفراء الجميل ... نعم ... إن ثعالبهن صغيرة وقصيرة ولكنها ثعالب فضية أيضاً ...

وفي ذات صباح من أصباح الخريف الضاحية أقبلت السيدة بلاكني تزيفُ في خطرتها ، وقد تطوق عنقها بثعلب فضي جميل كان هدية المدير إليها في عيد ميلادها الخمسين .

وكان هذا هو اليوم الذي قرّ فيه عزم مابيل على شراء ثعلبها الفضي الذي عقدت أسبابها به هذه الشهور الطويلة ... فبدأت تقتصد في مالها

وأخذت مابيل تقضي أمسياتها في المنزل عازفة عما خلاه وقد ارتسمت في مقلتيها صورة السيدة بلاكني وقد التمع فراؤها الفضي على كتفيها وتوهجت عيناه الدقيقتان من بين طوايا الشعر الغزير

وما أكلت مابيل اثني عشر جنيها حتى دهاها ما دهاها من ضرس العقل ... وأنت أعلم بما ينتاب الانسان في مثل هذه الحال ... يتولاه الألم ، ثم يبرح به ، ثم لايستطيع مضغاً ولا حركة ، ثم يفحصه الطبيب ، ثم يستزيره يوماً ثانياً ثم يوماً ثالثاً ، ثم ينتهي الأمر بخلع الضرس . ثم يعطيه الطبيب بطاقة صغيرة عليها الأجر .

إلى هنا لم يبق مع مابيل إلا سبعة جنيهات ، فخلت إلى نفسها حزينة يائسة ... وأقبلت عليها صديقتها ليليان . تسري وترفه عنها ... وكانت ليليان فتاة في مثل سن مابيل تعمل في أحد محال التجميل ، وكانت على النقيض من مابيل فتاة فارعة جميلة مرحة — من هؤلاء الفتيات الباسمات اللائي يجتذبن قلوب الرجال من النظرة الأولى — وكان جمالها يقوم على التصنع والتطرية إلى حد ما ... فوجه ناصع البياض ، وأظفار شديدة الحمرة ، وشعر منسق مصفف ... الخ ...

ولعل من العجيب أن تجمع الصداقة بين هاتين

الفتاتين على ما فيهما من تباين الأهواء والنزاع ... ولكن لا عجب في ذلك فقد جمعهما منزل واحد وألفتهما سن واحدة ، وضمهما أجر متقارب ... فكانت مابيل تشغل جانباً من قلب ليليان ، وكانت ليليان تشغل جانباً من قلب مابيل ... قالت ليليان :

— يجب عليك أن تحصلي على المال من طريق غير الاقتصاد .

— فهل تسمحين يا عزيزتي أن تصفي لي الطريق إلى ذلك ؟

— إنني مقدمة على شراء ورقة نصيب ... فهلا تقاسمناها .

وكانت ليليان طموحة مغامرة في أمثال هذه النواحي وكثيراً ما كان يواتيها الحد فتربح ... ... فأجابت مابيل :

— إذا كان الأمر كذلك فسأبتاع بدوري ورقة أخرى .

ولإجمال الحديث أقول إنهما ابتاعتا ورقتين ربحت إحداهما اثني عشر جنيها .

وقد يبدو لأول وهلة أن مابيل غمرها الفرح بالربح ولكنها كانت على النقيض من ذلك حزينة يائسة لأن نصيبها لا يقوم بابتياع الثعلب الفضي ... فقالت ليليان :

خفضي عليك يا عزيزتي ... إنني أخشى عليك أن تمسك مواس الجنون من جراء ذلك الثعلب اللعين .

— إنني أود أن تريه أولا يا ليليان

وانصاعت « ليليان » للرجاء وذهبت — في طريقها إلى محل عملها — فألقت عليه نظرة خاطفة فتمأقته وعادت إلى مابيل قائلة :

— لو استطعنا أن نشترك معاً في شرائه ؟

وسقطت هذه الكلمات العذبة الطلة على قلب مابيل سقوط الندى على الزهر فندّت أطرافه ، وأثلجت شغافه ... فقالت مرددة :

— لو استطعنا أن نشترك معاً في شرائه ! ولكن لمن يكون الثعلب ؟

— لنا على السواء

وطربت مابيل لهذه الفكرة وصحبت ليليان فاشترتا الثعلب الفضي ... وأصبح ملكهما على السواء ... تطوّق به مابيل اليوم ... وتأخذه ليليان غداً ... ثم مابيل بعد غد ... وهكذا ...

والواقع أن ليليان كانت سخية من جانبها عازفة بعض الشيء عن الثعلب ... فكثيرا ما كانت تلتمسه منها مابيل في غير وقتها فلا تمانع قائلة ...

— خذيه يا عزيزتي ... فسأرتدي اليوم فرائي الأخضر .

* * *

ولبث هذا النظام معمولا به بينهما في رقة من الجانبين . وصفاء القلبين من اليوم السادس عشر من نوفمبر عند ما ابتاعتا الثعلب إلى ذلك الاثنين من إبريل عند ما ظهر الرجل في القصة

في صباح يوم من ابريل رخيّ النسيم ، أقبلت سيارة رمادية أنيقة إلى « صالون السيدة هيلين » للتجميل وهبط منها شاب يمم شطر المديرة وسألها عن السيدة هاريس ... وأرسلت المديرة ليليان للسؤال عنها داخل الصالون ، وبعد برهة أقبلت ليليان تقول : إن العاملة تقوم لها بعملية تموج الشعر

وإنها ربما تستغرق نصف ساعة ... فقال الشاب في خفوت :

— سأعود ثانية

وقبل أن تضم ليليان شفتيها بعد تلك البسمة التي شيعته بها اختفى الشاب وسيارته ... وعاد الشاب بعد ثلث ساعة وجلس ينتظر مع ليليان التي علمت منه أن السيدة هاريس ليست زوجته وليست أخته وإنما هي والدته وأنه يسكن معها في «تونبريدج» وأنه يشتغل مهندساً في المدينة .

وكان جيمس شاباً ريق الشباب لدن المعاطف فارع القامة لطيف المدخل ، لا يستطيع أحد أن يفرق بينه وبين بسمته اللطيفة الوادعة ...

وانتهت السيدة هاريس من عملية التمويج ، وخرجت تعبق أردانها بالأنسام العاطرة ، وشعرها الرمادي مموّج ، مصفف ، معطر ، وصحبت ولدها إلى السيارة فانطلقت بهما إلى « تونبريدج » . . . ولم ينس جيمس هذه المرة أن يشيع ليليان بابتسامة عذبة جميلة ... ...

* * *

وعادت السيارة الرمادية إلى الصالون مرة أخرى خلال ذلك الأسبوع ثم مرة ثانية ثم ثالثة ... ثم كانت صداقة بين جيمس وليليان ... ودعاها جيمس بعد ذلك للعشاء معه ... وطربت ليليان لهذه الدعوى وقبل أن تتخالج شفتاها بالقبول ذكرت مابيل فقالت :

— بكل سرور ... إذا أمكنني أن أصطحب صديقة لي

وقبل جيمس ذلك فرحاً ... ثم قال في ابتسام :

ولكن متى يكون ذلك ...

السبت ؟

ولكنه كان يقضي السبت والأحد دائما في « تونبريدج » مع والدته ... فقال :

— وماذا عن « الاثنين » ؟

— الاثنين ؟ ... حسن ... إلى اللقاء

وكان ذلك يوم الخميس ... وكان يوم مابيل للتحلي بالثعلب وستأخذه منها ليليان صباح الجمعة ، ثم مابيل السبت ، ثم ليليان الأحد ، ثم ... آه إنه لمابيل يوم الاثنين

وفي صباح الأحد دخلت ليليان على مابيل في مطرفها الياباني الموشى :

— أأنت في حاجة اليوم إلى الفراء ياعزيزتي ؟

— كلا ... فلن أغادر الغرفة اليوم

وفي المساء قبيل موعد النوم بقليل أقبلت ليليان تقول لمابيل في بسمة جميلة :

— آه ... لقد نسيت أننا مدعوتان للعشاء غداً

— مدعوتان ؟ ... ولكن من دعانا ؟

— جيمس

— ومن جيمس هذا ؟

— سترينه ... شاب لطيف

— ولكن كيف يدعوني جيمس هذا وأنا ... فقاطعتها باسمة :

— رأيت من الأفضل أن نذهب معاً

— أيحبك هذا الشاب ؟ ...

— يلوح لي ذلك

— وأنت ؛ أتحبينه ؟

— ربما ... قالتها في ضحكة عالية مرنة

— ولكن حدثيني ياعزيزتي ... من هو ذلك

الشاب ؟ ... أهو جميل ؟ ... وماذا يعمل ؟ ... وأين تقابله ؟ ... وأى ثوب أرتدى ؟

وأغرقتها مابيل فى فيض من هذه الأسئلة ... فأجابتها ليليان :

— سترين ... إنه سيمر علينا غدا فى سيارته عمي مساء يا عزيزتى

وخرجت ليليان تتخطر فى مشيتها بعد أن حملت الثعلب الفضى ... ولم تفطن مابيل أول الأمر إلى ذلك ، ولكنها ذكرت أخيراً أن يوم الاثنين من نصيبها ... وفى مساء الاثنين بين السادسة والسادسة والنصف هبت العاصفة ، وابتدأ الشجار ... إذ نبهت مابيل ليليان إلى أن الثعلب من نصيبها ذلك اليوم ... ولكن ليليان أصرت على أنه من نصيبها هى الأخرى وقالت :

— إننى لم أتطوق به البارحة

— هذا لا يعنينى ... ولكنه كان يومك. فقالت ليليان محتدمة :

— لقد دفعت نصف ثمنه ... أو لم أفعل ؟ .. ولم أستعمله إلا زهاء ربع المدة ، لقد كنت سخية فيه معك أكثر مما ينبغى

ونزلت هذه الكلمات على مابيل كاسم الوحى ، حقاً لقد كان معها الثعلب أكثر المدة ... فقالت فى استخذاء :

— ولكن كيف أصنعت ؟ وليس لدى إلا ثوبى الأزرق القديم .. ؟ أما أنت فلديك الكثير ويمكنك أن ترتدى ثوبك الأخضر الجديد

ولكن ليليان لم تعرها التفاتاً . . . وطفقت تتزين أمام المرآة

* * *

وصمتت مابيل وأخذت طريقها إلى الحمام فأوصدت خلفها الباب ثم نظرت فى المرآة ، وقد تكفأ لونها ، واستدمعت عيناها من التأثر ...

وأقبل جيمس أخيراً وكانت مابيل تلوح فى ثوبها البسيط جميلة رائعة ، وقد ندت الدموع وجنتيها ووردت طرف أنفها . . . أما ليليان فكانت ترتدى ثوباً أحمر مزيناً بالريش ، وعلى كتفها الأيسر يتنوس الثعلب الفضى ، وعلى الأيمن طاقة صغيرة من الزهور وعلى جيدها سمط منضد من اللؤلؤ ... وركبوا جميعاً السيارة ، فعبق جوها بأعطار ليليان ... وانطلقت فى طريقها إلى المطعم حيث كان جيمس ينتظر قدوم صديق له فاختار منضدة قريبة من المدخل حتى يلحظ قدومه ...

ورأت ليليان ألا تمر بجمع حفيل كهذا دون أن تلفت لحاظ من حولها ... وبهزة خفية من كتفها سقط الثعلب الفضى على الأرض فتثنى جيمس والتقطه ثم انتهض واقفاً وأعاده إلى كتفها وهو حانق مغيظ ، فقد كان لا يحب أن يلفت إليه الأنظار ... وجلست ليليان تتحدث وتتحدث وتسهب وتستفيض ومابيل معقودة اللسان صامتة ... وأخذ جيمس الملال من الحديث ، فطفق يسارق مابيل النظر ... ونظر جيمس فإذا يداها على المنضدة ... فجعل يقارن بين هذه الكف المطلية الأظفار التى يفوح من أناملها العطر ... وبين هذه الكف الرخصة ، الرقيقة الأنامل ، الوردية الأظفار دون طلاء ...

وفجأة ... ودون أن يدرك جيمس حقيقة ما يفعل رفع تلك الكف الجميلة إلى فمه وطبع عليها

قبلة هادئة ... ثم أعادها إلى مابيل كما لو كان يعيد شيئاً ثميناً يخشى عليه التلف

* * *

وأقبل صديق جيمس أخيراً وهو شاب فى مقتبل العمر ، وعندما قدم جيمس اليه صديقيه تبدت له ثلاثة أمور جديدة ، أولها أن اسم مابيل ينتهى بكلمة « سوتون » . وثانيها أنه يذكر ذلك الاسم منذ أيام دراسته فى « اكسفورد » وهو اسم صديق له يدعى « ريتشارد سوتون » . وثالثها أن صديقه ريتشارد سوتون أخو صديقته مابيل سوتون ...

وجلس جيمس يفكر فى تلك الفتاة الصغيرة الجميلة التي تجالد الحياة وتستدفع الفقر بيديها لتربى أخوها الأكبر فى « اكسفورد » ... إنه لعمل جليل حقاً ... وإن مثل تلك الفتاة لجديرة بالاكبار والاجلال ... ...

وعزفت الموسيقى وبدأ الرقص . فرقص جيمس مع مابيل أولا ثم مع ليليان ، ثم مع مابيل ثانياً ... ثم جلسوا جميعاً ، وجعلت ليليان ترسل النكات الفارغة الواحدة تلو الأخرى ... وجلست مابيل تجاه جيمس بوجهها الباسم الحالم ، وعيناها وشعرها تفيض ذهباً ... ... ...

ورتب جيمس الأمور على أن يصحب صديقه ليليان إلى المنزل ، وأن يصطحب هو مابيل فى سيارته على أن تتولى القيادة ذراعه اليمنى ، لأن الذراع اليسرى لا يمكنها أن تغادر تلك المعاطف اللدنة

وقبل أن تهبط مابيل من السيارة أمام المنزل دعاها جيمس لزيارته فى « تونبريدج » لترى والدته فأجابت بالموافقة .

والظاهر أن السيارة الرمادية الجميلة جالت عدة جولات قبل وصولها إلى المنزل ... لأن مابيل وجدت ليليان قد وصلت قبلها وأوصدت عليها باب غرفتها ... ... ... ... ... ...

من يعلم ؟ ... ربما لو ازيحت مابيل تلك الليلة وتطوقت بالثعلب الفضى لتبدل الموقف وصار غير ماهو عليه الآن ... ونظرت مابيل ... فاذا الثعلب الفضى ملقى على سريرها ينظر إليها بعينيه الوهاجتين فى دهاء ومكر ... كما لو كان حياً .

« اسكندرية »


# فى أصول الأدب

## للأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد فى نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة فى الأدب العربى وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة فى الأدب . أثر الحضارة العربية فى العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب فى هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ . . .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا